وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الترابط النَّصي في الحديث النَّبوي الشريف كتاب رياضِ الصالحين للنووي (ت676هـ) مثالا

رسالة قدّمها

فهد رشيد حسن خميس الزهيري

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية– جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

بإشراف
الأُستاذ المساعد الدكتور

حسين إبراهيم مبارك

ذي الحجة 1435هـ

تشرين الأول 2014م

المبحث الأوَّل
الإحـالـة

المبحث الأوَّل

طريق يعتمد على تصنيف الالفاظ إلى الفاظ غير مبهمه وهي الالفاظ التي لها دلاله

وتُحيل بمفردها على خارجها في الواقع ، وألفاظ مبهمة لها دلالة لكنك لا تعرف لها خارجًا إلَّا متى توافر مفسِّرها ، وهذا المفسِّر قد يكون مقاميًّا وقد يكون مقاليًّا [1] .

الإحالة عند النصيين :

يعرفها (دي بو جراند) بأنَّها " العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات " [2] .

ورأى (جون لوينز) أنَّها "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات" [3]، وطبيعة هذه العلاقة دلاليّة تقتضي التطابق بين العنصر المُحيل والعنصر المُحال عليه من حيث الخصائص الدلاليّة [4] .

وقدَّم (كلماير) تصورًا أكثر وضوحًا ؛ إذ ذهب إلى أنّ الإحالة هي : "العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يُطلق عليه (عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة) " [5] .

ولخَّص الدكتور حسام أحمد فرج المقصود بالإحالة ، وهو وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ؛ إذ لا بُدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها ، وتسمى تلك العناصر (عناصر محيلة) ، وهي : الضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، فهذه الكلمات تعود إلى عناصر أُخَر مذكورة في أجزاء أُخَر من النَّصّ ، والتَّرابط عن طريق الإحالة يقع عند استرجاع المعنى أو إدخال الشيء في الخطاب مرة ثانية [6] .

ووظيفة الإحالة في النَّصّ ، أنَّها تشير إمَّا إلى ما سبق ، أو إلى ما سيأتي ، والتعويض عنه بالضمير ، تجنبًا للتكرار فيتحقق بهذا الاقتصاد في اللغة [7] ،

---

(1) ينظر : أُصوال تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة : 1 / 125 .

(2) النَّصّ والخطاب والإجراء : 172 .

(3) تحليل الخطاب (براون ويول):36, وينظر:نحو النَّص اتجاه جديد في الدرس النحوي:116.

(4) ينظر : لسانيات النَّصّ: 17 .

(5) دراسات لغويّة تطبيقيّة: 125 .

(6) ينظر : نظرية علم النَّصّ : 83 .

(7) ينظر : علم لغة النَّصّ ، النظريّة والتطبيق : 120 .

فتختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية ، وتجنب مستعملها إعادتها عن طريق الذاكرة البشرية التي يمكنها أنْ تختزن آثار الألفاظ السابقة وتقرن بينها وبين العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها وعلى هذا تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النَّصّ . (1)

وتمثل العناصر اللغوية قطبَي الإحالة من حيث وظيفتها ، وتقسم على :

1-العنصر الإحالي : وهو كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره .

2-العنصر الإشاري : وهو كل مكون لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره .

" ولا يخرج العنصر الإحالي عن أنَّه مكون عوَّض مكونًا آخر ، ذُكر في موضع آخر ، سابق أو لاحق ، وبدلاً من أنْ يتحتم ورود العنصر الإشاري في موضع آخر ، بعد أنْ ورد أوَّل مرة ، يرد عنصر آخر ينوب عنه ، ويؤدي معناه ذلك هو العنصر الإحالي ، ويتيسر هذا التعويض بعمل الذاكرة في محتواها المشترك بين طرفَي التواصل " (2) ، ورأى الدكتور الأزهر الزناد أنَّ العناصر الإحالية تطلق على قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعتمد على عنصر معيَّن آخر في النَّصّ ، فالأوَّل يفترض الثاني ، إذ لا يمكننا فك رموزه إلَّا بالعودة إلى الثاني من أجل تفسيرها ، حتّى يتم ترابط النَّصّ ، فشرط وجود هذه العناصر هو النَّصّ من جهة ، ومعرفة ما تشير إليه أو تعوضه تلك العناصر الإحالية من جهة أُخرى ، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما ، وما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر ، ممَّا يجعلها تتميز بالإحالة على المدى البعيد (3) .

وأطلق (فان دايك) على آليات الإحالة مصطلح (التعبيرات الإشارية) وعدَّها من آليات التَّرابط بين النَّصّ وسياقه ، التي تندرج ضمن مجال الدلالة ؛ إذ تُحيل على مكونات السِّياق الاتصالي من المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه وغيرها (4) .

---

(1) ينظر : نسيج النَّصّ : 121 .

(2) دراسات لغويّة تطبيقيّة : 109 .

(3) ينظر : نسيج النَّصّ : 118 .

(4) ينظر:علم النَّصّ مدخل متداخل الاختصاصات : 135 – 136 .

وأطلق عليها (بو جراند) مصطلح (الألفاظ الكنائية), قال : " والألفاظ الكنائية من حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة ، وبهذا تختلف الألفاظ الكنائية عن هذه العبارات بطرق نظامية " [1]

ويشير (بو جراند) إلى أنّه ليس من المستحسن أنْ نجعل مسافة كبيرة بين اللفظ الكنائي وما يشترك معه في الإحالة [2] .

وينقل محمد خطابي عن هاليداي ورقية حسن تقسيمهما للإحالة ، على نوعين، على وفق الرسم الآتي : [3]

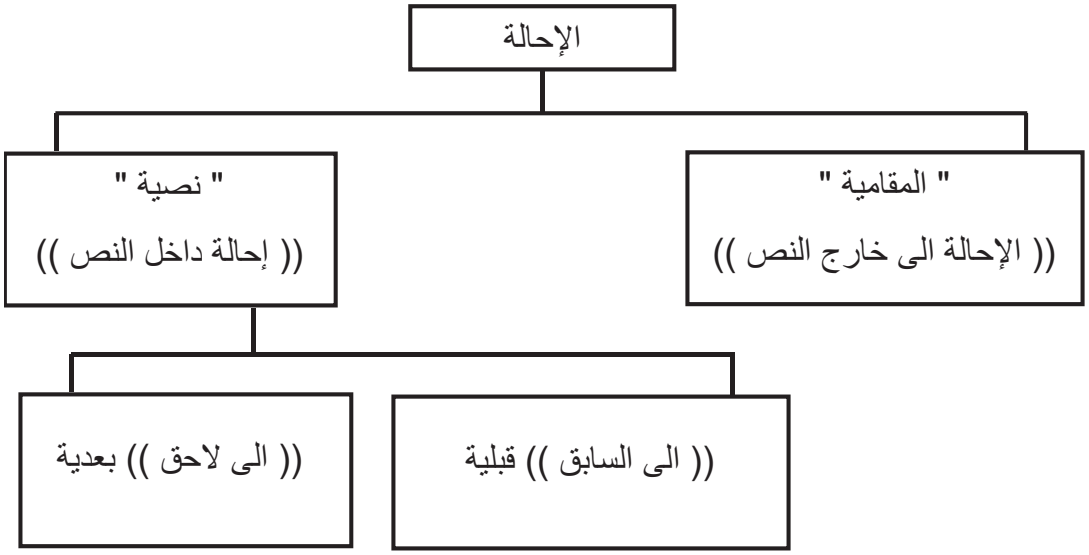

أوّلاً : – الإحالة المقامية: وتسمى أيضًا إحالة إلى خارج النَّصّ ، أو الإحالة لغير مذكور ، مثلما يُسميها الدكتور تمّام حسّان ، وهي تعود إلى أمور تُستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في النَّصّ نفسه أو الخطاب [4] ، وهذا النوع من الإحالة يشكل تفاعلاً بين النَّصّ والموقف السِّياقيّ .

(1) النَّصّ والخطاب والإجراء : 320 .

(2) ينظر : المصدر نفسه : 327 .

(3) ينظر : لسانيات النَّصّ: 17 .

(4) ينظر : النَّصّ والخطاب والإجراء : 332 .

ويعرفها الدكتور الأزهر الزناد بقوله : " هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ؛ كأنْ يُحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم ، إذ يرتبط عنصر لغوي احالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم ، ويمكن أنْ يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته ، في تفاصيله أو مجملاً إذ يمثل كائنًا أو مرجعًا موجودًا مستقلاً بنفسه ، فهو يمكن أنْ يُحيل عليه المتكلم " [1] .

ثانيًا : الإحالة النَّصيّة : هي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ ، سابقة كانت أو لاحقة ؛ فهي إحالة نصيّة ، وتقسم بدورها على قسمين [2] :

أ-**الإحالة القبلية** : هي استعمال كلمة أو عبارة تُشير إلى كلمة أُخرى أو عبارة أُخرى سابقة في النص أو المحادثة [3] .

أو هي الإحالة على مفسر سبق التلفظ به ، ويجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أنْ يظهر إذ يرد الضمير [4] .

ب-**الإحالة البعدية** : وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أُخرى أو عبارة أُخرى سوف تستعمل لاحقًا في النَّصّ أو المحادثة [5] .

إذ تعود إلى عنصر إشاري مذكور بعدها في النَّصّ ، ولاحق عليها [6] ، والإحالة النّصيّة هي الأصل ، والأكثر ورودًا في النُّصوص ، والإحالة القبلية منها ، أكثر استعمالًا ، وفيها يتمكن المتلقي من إعادة اللفظ الكنائي المراد منه من دون مجهود ، أمّا البعدية فتكون مثيرة لذهن المتلقي ؛ لأنَّ اللفظ الكنائي يكون متقدمًا عن مرجعه ،

---

(1) نسيج النَّصّ : 119 .

(2) ينظر : المصدر نفسه : 118 .

(3) ينظر : علم اللغة النَّصيّ بين النظريّة والتطبيق : 1 / 38 .

(4) ينظر : نسيج النَّصّ : 118 .

(5) ينظر : علم اللغة النَّصي بين النظريّة والتطبيق : 1 / 40 .

(6) ينظر : نحو النَّصّ اتجاه جديد في الدرس النحويّ : 117 .

فيظل المتلقي يقظًا باحثًا عن مرجع الضمير ، وهذه الإحالة أقل من سابقتها استعمالًا وشيوعًا [1] .

وللإحالة أهميّة في التَّرابط النَّصيّ ؛ إذ تجعل أجزاء النَّصّ متآخذة مشكلة بذلك كُلاً موحدًا [2] ، وتتفرع وسائل التَّرابط الإحالية إلى : الضمائر, وأسماء الإشارة ، والموصول ، وأدوات المقارنة [3] .

آليات الإحالة :

أوّلاً : الضمير :

تُعَدُّ الضمائر من أبرز آليات التَّرابط النَّصيّ ؛ لأنَّها نائبة عن الكلمات والعبارات والجمل المتتالية ، وتتعدى وظيفتها أيضًا لكونها تربط بين أجزاء النَّصّ المقاليّة أو المقاميّة [4] .

وللضمير أثر في ترابط أجزاء النَّصّ عبر جانبين رئيسين هما :

الجانب الموضوعيّ ، والجانب الشكليّ ؛ إذ يؤدي وجود الضمير – من حيث الموضوع – إلى عدم تفكك أجزاء النَّصّ الواحد ، وهو في الوقت نفسه جانب شكليّ يهتدي القارئ في أثنائه إلى رؤية ذلك التَّرابط [5] . وتكون دلالة الكلام غامضة أحيانًا والضمير هو الذي يوضحها ، ويجمع شتات ما تناثر من عبارات وجمل ليربط بينها ، [6] ومما تجدر الإشارة إليه أنَّه يجب أنْ يكون الضمير قريبًا مِمَّا يحيل إليه

(1) ينظر : النَّصّ والخطاب والإجراء : 328 .

(2) ينظر : لسانيات النَّصّ: 16 .

(3) ينظر : نحو النَّصّ اتجاه جديد في الدرس النحويّ : 118 .

(4) ينظر : علم اللغة النَّصيّ بين النظريّة والتطبيق : 1 / 137 .

(5) ينظر : من أنواع التماسك النَّصيّ (التكرار ، الضمير ، العطف) ، بحث ، أ . م . مراد حميد عبد الله : 57 .

(6) ينظر : علم اللغة النَّصيّ بين النظريّة والتطبيق : 1 / 162 .

لئلا يلتبس على السامع أو القارئ ، إلَّا إذا كان هناك من القرائن المعنويّة أو السياقيّة ما يدل على مرجعه [1] .

أثر الضمير في ترابط النَّصّ الحديثيّ :

للضمير أثر بارز في ترابط النَّصّ الحديثي، إذ يعمل على إنشاء شبكة من العلاقات الإحالية النصيّة والمقامية ، لكثرة استعماله في أثناء النَّصّ، بأنواعه جميعًا.

والضمائر هي الأصل في الرَّبط بين الأسماء ، وقد رأى بعضهم أنَّ الرَّابط من الضمائر هو الضمير البارز ، فحسب ، ذلك أنَّ الضمير المستتر – في نظرهم – يعد قرينة معنوية تُستنبط بالعقل ، ولا يُشير إليها لفظ . [2]

والحقيقة أنَّ الضمير يُعَدُّ رابطًا من الرَّوابط الاسمية ، سواء أكان بارزًا أم مستترًا ؛ لأنَّه – وإنْ كان مستترًا ، ويُدرك بالعقل ، ويستنبط عن طريق المعنى – فإنَّه يأتي رابطًا للجملة التي يستتر فيها بما يعود عليه [3] .

من ذلك قوله 2 : (**إذا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا , وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) [4] .

جاء في هذا الحديث الشَّريف الضمير (هو) مستترًا في ثلاثة مواضع ، ففي الفعلين (عجّل) و (أمسك) ضمير مستتر (هو) وإحالة الضمير في الحالتين (نصية قبلية) ومرجعها إلى لفظ الجلالة (الله) المتقدم على كل منهما ، ليدلا إلى أنَّ الله تعالى هو الذي يُعجل عقوبة العبد في الدنيا ، إذا أرد به الخير ، ليأتي العبدُ يوم القيامة صافي الذنوب ، وإذا أرادَ به الشر أمسك عنه العقوبة في الدنيا بذنبه ، (حتى يُوافي بِهِ يومَ القيامةِ) وهنا يأتي الضمير (هو) مستترًا مرة ثالثة في الفعل (يُوافي) وإحالته (نصيه قبلية) يعود على لفظ الجلالة (الله) عزَّ وجلَّ[5] ، وأجاز

---

(1) ينظر : الضمائر في اللغة العربية: 103 .

(2) ينظر : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية : 196 .

(3) ينظر : الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق التَّرابط في النَّصّ القرآني ، بحث ، نائل محمد إسماعيل : 1068 .

(4) رياض الصَّالحين , رقم (43) , رواه الترمذي : كتاب الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء ، رقم (2396) .

(5) ينظر : شرح الطيبي: 4 / 1350 ، ودليل الفالحين : 1 / 222 .

وأجاز الطيبي (ت 743 هـ) : – أن يرجع الضمير المستتر في الفعل (يُوافي) إلى (العبد) والمعنى ، لا يجازيه الله سبحانه في الدنيا بذنبه ، حتّى يجيء العبد في الآخرة مستوفي الذنوب وافيها ، فيستوفي حقه من العذاب [1] . وإنْ جاز ذلك فالإحالة نصيّة قبليّة أيضًا .

ومن هنا تتضح أهمية الضمير المستتر في ترابط أجزاء الكلام بعضه ببعض حتّى كأنَّه كلمة واحدة ، فقد عدَّ بعض النحاة الضمير المستتر من الضمائر المتصلة ، وإنَّ وجوده أساس لاستكمال ركنَي الإسناد ، وإنَّه أصل الضمائر ؛ لأنَّه أكثر اختصارًا [2] .

ويؤكد اللغويون المحدثون أثر السِّياق في معرفة مرجعية الضمير ، إذا كانت مرجعيته مقامية (خارجية) لأنَّ المرجعية الخارجية تعتمد على سياق الحال [3] ، ولا سيَّما في الحديث الشَّريف ، فلا يمكن فهم طبيعة الإحالة الخارجية إلَّا عن طريق إدراك السِّياق المحيط بالنَّصّ ، فقد يكون السِّياق هو أداة التَّرابط الرئيسة فيه ، من ذلك الحديث الذي يرويه ، عُقبة بن عامر 0 ، أنَّ رسول الله 2 ، خرج إلى قتلى أُحد ، فصلى عليهم بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثمَّ طلع إلى المنبر ، فقال : (**إنِّي بين أيديكُمْ فَرطٌ وأنا شهيدٌ عليكم ، وإنَّ موعدَكُم الحوضُ ، وإنِّي لأنظر إليهِ مِن مَقامي هذا ، ألا وإنِّي لستُ أخشى عَلَيْكُمْ أنْ تُشركوا ، ولكنْ أخْشى عَلَيْكُم الدّنيا أنْ تَنَافسُوها**) [4] .

إنَّ أوَّل أدوات التَّرابط في هذا النَّصّ الشَّريف ، السِّياق ؛ " لأنَّه في الغالب بدون السِّياق نقف عاجزين أمام تفسير ما يقال " [5] . فلو قطعنا النَّصّ عن سياقه الذي قيل فيه ، فكيف سنفهم أنَّ ضمير المتكلم يعود إلى رسول الله 2 ، وضمير المخاطب يعود إلى المسلمين ؟ فالسِّياق يعين على التفسير والتحديد الدقيق لمرجعية

---

(1) ينظر : فيض القدير : 1 / 258 ، وتحفة الأحوذي : 7 / 77 .

(2) ينظر : الضمائر في اللغة العربية : 109 .

(3) ينظر : نسيج النَّصّ : 119 ، وعلم اللغة النَّصيّ بين النَّظريّة والتطبيق : 1 / 156 ، وأصول تحليل الخطاب : 2 / 1076 .

(4) رياض الصَّالحين، رقم (1860)،رواه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أُحد، رقم(4042) ، ومسلم : كتاب الفضائل , باب إثبات حوض نبينا محمد 2 ، رقم (2296).

(5) علم اللغة النَّصيّ بين النظريّة والتطبيق : 1 / 165 .

الضمير ، وسياق الحال هنا ، يمثله ما قدَّم به الصحابي الجليل ، عقبة بن عامر 0 ، ويشمل النَّصّ الشَّريف مجموعة من الضمائر التي تمثل إحالة (مقامية) ومرجعيتها إلى :

1- ذات المتكلم : الرسول 2 .

2- ذات المخاطبين : وهم المسلمون .

ومعدل توزيع الضمائر التي تعود إلى ذات المتكلم – الرسول 2 – (تسعة) ضمائر ، توزعت ما بين ضمير متصل (الياء) في (إنّي) المكررة ثلاث مرات وفي (مقامي) و (التاء) في (لست) والضمير المنفصل الظاهر (أنا) والمستتر (أنا) في الفعلين (أنظر) و (أخشى) المكرر مرتين ، بيد أنَّه ليس لذات الرسول 2 ، ذكر صريح في النَّصِّ نفسِه ، و إنَّما عُرفت مرجعية الضمير بالعودة إلى السِّياق ، فالإحالة هنا مقامية (خارجية) لعدم سبق ذكرها في النَّصّ ، ومعدل توزيع الضمائر التي تعود إلى ذات المخاطبين (سبعة) ضمائر ، هي (الكاف) في (أيديكم ، موعدكم) و (عليكم) المكررة ثلاث مرات ، (والواو) في (تشركوا وتنافسوها) غير أنَّه ليس لذات المخاطبين ذكر صريح في النَّصّ ، فالإحالة هنا أيضًا مقامية (خارجية) لعدم سبق ذكرها في النَّصّ ، وإنَّ هذا الإضمار يسمى بـ (الإضمار إلى مرجع مُتصيَّد) لكون الضمير يدل على ما هو غير مذكور في النَّصّ ، يتم معرفته من سياق الحال [1] .

كما يوجد في النَّصّ الشَّريف كذلك ، ضميران ، إحالتهما (نصية قبلية) و هما (الهاء) في (إليه) ويعود إلى (الحوض) و (الهاء) في (تنافسوها) ويعود إلى (الدنيا) ، فتكون الإحالة بالضمير في النَّص الشريف بالشكل الآتي :

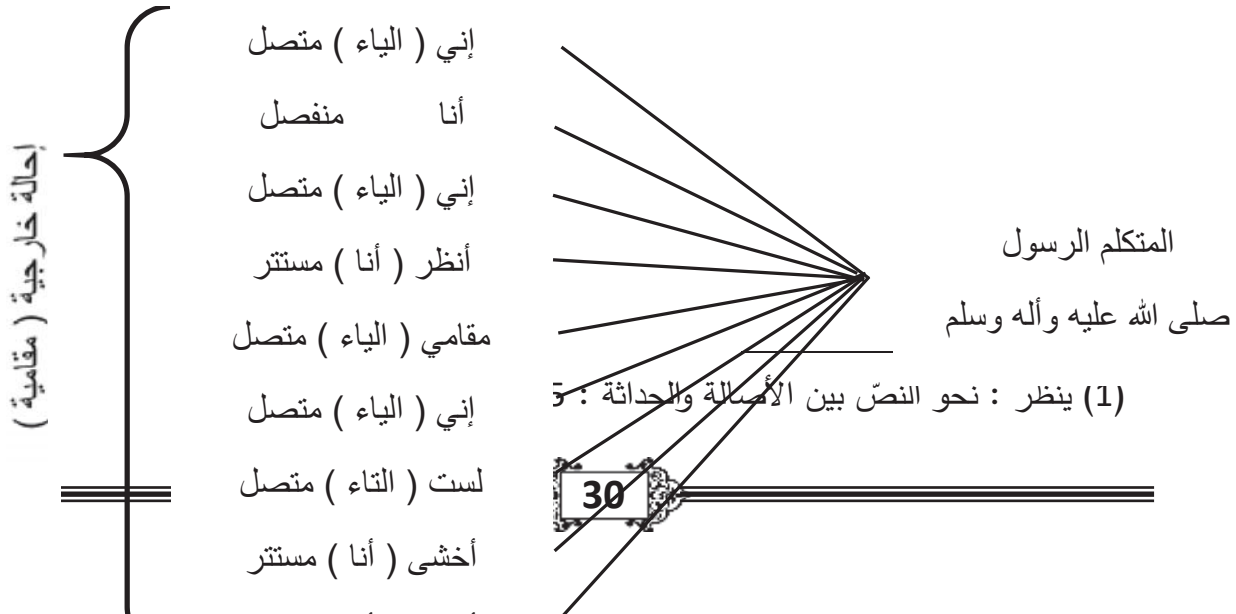

(1) ينظر : نحو النصّ بين الأصالة والحداثة : 5

2

إنَّ تعدد المحال إليه في النَّصّ الشَّريف ، بين : إحالة مقامية ، وإحالة نصية قبلية ، يدل على وجود نوع من التفاعل المتحقق بين أطراف النَّصّ الداخلية والخارجية ، وقد حقق هذا التفاعل ، التَّرابط النَّصيّ [1] .

(1) ينظر : التَّرابط النَّصيّ في ضوء التحليل اللساني للخطاب : 173 .

ويمكن أنْ نفسر غلبة الضمائر التي تعود إلى ذات المتكلم 2 أنَّه كلما زادت أهمية الشخصية في النَّصّ ، زادت الإحالة التي تؤكد الوجود المستمر لها،[1] فهو الذي يدعو للأموات ، والمودع للأحياء ، وهو الذي يحذر المخاطَبين من الشرك ، ومن الدنيا وفتنتها .

ويعوّل علماء اللغة النَّصيّون كثيرًا على ضمائر الغياب ، التي تحيل – غالبًا – إلى داخل النَّصّ ، وتكون إحالتها (نصيّة) داخلية ، ثمَّ تجبر المتلقي على البحث عمّا يعود عليه الضمير ، فتؤدي بذلك دورًا مهمًا في ترابط النَّصّ وتلاحمه [2] .

وشواهد ذلك في الحديث الشَّريف كثيرة ، منها قوله 2 : (**يُؤتى يَومَ القِيَامَةِ بالقُرآنِ وأهْلِهِ الذينَ كانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ في الدُّنيا تَقْدُمَهُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآل عِمْرَانَ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**)[3] .

تتضافر ضمائر الغياب في هذا النَّصّ الشَّريف ، لتشكل نسقًا من التَّرابط القائم على الإحالة (النصية القبلية) ، مُمثلة بالضمائر : (الهاء) في (أهله) إذ يرجع الضمير إلى (القرآن) السابق له بالذكر ، ليربط بين القرآن وأهله ، ثم يأتي (الواو) في (كانوا) و (يعملون) ليربط جملة الصِّلة بالموصول قبلها – كما يرى النحاة[4] – أو ليربط جملة الصِّلة بمنعوتها (أهل القرآن) ، كما يرى د . مصطفى حميدة ؛ لأنَّ الموصول مجرد عنصر إشاري يشير إلى المنعوت [5] ، وسواء أكان هذا أم ذاك فقد ربط (الواو) جملة الصِّلة بمذكور سابق عليها ، فشدَّ من تآزر النَّصّ وترابطه ، ثمَّ يأتي (الهاء) في (به) ليربط أهل القرآن بالقرآن ، وهم الذين تعاهدوه بالقراءة والعمل به في الدنيا ، حتّى إذا جاء يوم القيامة تقدمت سورة البقرة ومعها آل عمران قبل القرآن ، بدليل الضمير (الهاء) في (تقدُمَهُ) ليربط السورتين الشريفتين بالقرآن

---

(1) ينظر : نظرية علم النَّصّ : 86 .

(2) ينظر : لسانيات النَّصّ : 18 .

(3) رياض الصَّالحين , رقم (992) ، رواه مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرهما ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، رقم (805) .

(4) ينظر : شرح الرضي : 3 / 11 .

(5) ينظر : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية : 199 .

السابق للضمير بالذكر ، ثمَّ تأتي (الألف) في (تحاجان) والضمير (هما) في (صاحبهما) ومرجعيتهما إلى السورتين الشريفتين ، فهما من ستحاجان عن " التالي لهما ، المتدبر لِمَا اشتملتا عليه ، العامل بما أمرتا به أن يعمل ، والتارك ما نهتا عنه " [1] .

إنَّ ورود الإحالة في هذا النَّصّ الشَّريف كلها بالضمير المتصل ، يؤكد ما ذهب إليه النحاة ، من أنَّ أكثر الضمائر استعمالاً في اللغة ، هو الضمير المتصل.[2]

لقد تعالقت الضمائر في هذا الحديث الشَّريف كلُّها بمذكور سابق عليها ، من خلال إحالة (نصية قبلية) شكلت لحمة نسيجيّة ، آزرت ترابط النَّصّ وتماسكه ، فالضمير وما يحيل عليه يعملان على ترابط النَّصّ ؛ لأنَّ الضمير وحده لا يملك الدلالة المستقلة ، فلابدّ من وجود عنصر آخر يعود عليه . [3]

والإحالة (النصية البعدية) يمثلها (ضمير الشأن) في العربية خير تمثيل ، فله استعمال خاصٌّ ؛ إذ إنَّه كناية عن الجملة بعده . [4]

ففي قوله 2 :(**اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لا يَأْتِي زَمَانٌ إلا وَالذي بَعْدَهُ شرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**)[5].

فقد جاء ضمير الشأن (الهاء) في (إنَّهُ) ليحيل على جملة (لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه) فهي التي تفسره ، وفي هذه الحالة تنتقل دلالة الضمير من الإحالة إلى الاسم الظاهر ، إلى الكناية عن مضمون الجملة التي بعده ، لتؤدي الجملة بعده وظيفة تفسيره ، ولهذا يسميه النحاة (ضمير الشأن) ، قال ابن يعيش (ت:643هـ) : " اعلم أنَّهم إذا أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية فقد يقدمون قبلها ضميرًا يكون كناية عن تلك الجملة وتكون الجملة خبرًا عن

---

(1) دليل الفالحين : 6 / 165 .

(2) ينظر : الخصائص : 2 / 192 .

(3) ينظر : من أنواع التماسك النَّصيّ (التكرار ، الضمير ، العطف) : 57 .

(4) ينظر : دراسات لغويّة تطبيقيّة: 125 .

(5) رياض الصَّالحين ، رقم (92) ، رواه البخاري : كتاب الفتن ، باب لا يأتي زمان إلا والذي والذي بعده شر منه ، رقم (7068) .

ذلك الضمير وتفسيرًا له ويوحدون الضمير لأنَّهم يريدون الأمر والحديث ؛ لأنَّ كل جملة شأن وحديث " [1] .

والشأن في هذا الحديث الشَّريف ، أنَّ الزمان لا يزال في البعد عن مشكاة النبوة والقرب من البدع والفتن ، وما ذلك بكثرة الأمطار وقلتها ، ولكن بذهاب العلماء ، ثمَّ يأتي قوم يفتون في الأمر برأيهم فيثلمون الإسلام ويهدمونه [2] .

وضمير الشأن " على اختلاف أحواله ، إنَّما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها ، وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أوَّلاً ، وتفسيره ثانيًا ؛ لأنَّ الشيء إذا كان مبهمًا فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه " [3].

وضمير الشأن ، هو الذي لم يتقدمه ما يعود عليه [4] ؛ لشدِّ الانتباه بالإبهام إلى ما يليه , والترصد لِمَا سيبينه الضمير [5] ، وقد يأتي ضمير الشأن مؤنثًا [6] ، كما في قوله 2 : **(إنها سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا)**[7].

فقد أحال ضمير الشأن (الهاء) في (إنها) على الجملة بعده ، وقامت الجملة بتفسير الضمير ، فستكون بعد رسول الله 2 ، من الأمور المنكرة كالاستئثار بالفيء ، وتأخير الصلوات ، وبعض المنكرات [8] .

وقد يأتي ضمير الشأن مستترًا ، مثلما في قوله 2 : **(أَوَ ليسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ؟ إنَّ بِكُلِّ تَسبيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تكبيرةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تَحميدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْليلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بالمعروفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أَحَدكُمْ**

---

(1) شرح المفصل : 3 / 114 .

(2) ينظر : فتح الباري ، للعسقلاني: 13 / 28 .

(3) الطّراز : 2 / 76 .

(4) ينظر : معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض : 189 .

(5) ينظر : دراسات لغويّة تطبيقيّة : 127 .

(6) ينظر : شرح الرضي : 2 / 464 ، ومعاني النحو : 1 / 55 – 58 .

(7) رياض الصَّالحين ، رقم (51) ، رواه البخاري : كتاب الفتن ، باب قول النبي 2: سترون سترون بعدي أموراً تنكرونها ، رقم (7052) ، ومسلم : كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ، رقم (1843) .

(8) ينظر : صحيح مسلم بشرح النَّووي : 12 / 232 ، ودليل الفالحين : 2 / 242 .

صَدَقَةٌ) . [1] فجاء ضمير الشأن مستترًا ، اسمًا لـ (ليس) [2] ، وإحالته داخلية (نصية بعدية) تحيل إلى جملة (قد جعل الله لكم ما تصدقون به) ، ثم جاء تفصيل هذه الصدقة شاملاً كلَّ عبارات النَّصّ فجاءت الإحالة بضمير الشأن المستتر رابطة له بكل فقرات النَّصّ ومفاصله إجمالاً وتفصيلاً ، فقد شكى فقراء المسلمين لرسول الله 2 ، أنَّهم لا يملكون ما يتصدقون به مثل الأغنياء ، فواساهم بأنَّ لهم الصدقة من غير دينار ولا درهم ، وهذا أمر ذو شأن عظيم عند الفقراء [3] .

وقد يأتي ضمير الشأن منفصلاً ، كما في قوله 2 ، فيما يرويه عن ربّه تبارك وتعالى قوله : **(... يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحد مِنْكُمْ ما زادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي ◌َلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحد مِنْكُمْ ما ◌َنْقص ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِيكُمْ إِيَّاها فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ)** [4] .

ذكر الطّيبي والسّيوطي أنَّ أعمالكم ، تفسير لضمير في قوله (إنَّما هي) ، يعني إنَّما نحصي أعمالكم ، أي: نعد ونكتب أعمالكم من الخير والشر [5] ، أي: الشأن كلُّه أنَّ الإنسان بعمله [6] ، فالضمير (هي) ضمير شأن [7] ، إحالته (نصية بعدية) تفسره الجملة بعده .

ويمكن أنْ تكون الإحالة هنا (نصية قبلية) ، قال الطّيبي : " يمكن أنْ يرجع الضمير على ما يُفهم من قوله ، أتقى قلب رجل واحد ، و أفجر قلب رجل واحد ،

---

(1) رياض الصَّالحين ، رقم (120) ، رواه مسلم : كتاب الزكاة ، باب بيان أنَّ اسم الصدقة يقع لكل معروف ، رقم (1006) .

(2) ينظر : إعراب الأربعين حديثًا النووية : 174 .

(3) ينظر : جامع العلوم والحكم ، : 4 / 59 – 66 ، و دليل الفالحين : 2 / 119 .

(4) رياض الصَّالحين ، رقم (111) ، رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، رقم (2577) .

(5) ينظر : شرح الطيبي: 6 / 1839 ، وعقود الزبرجد : 2 / 304.

(6) ينظر : شرح رياض الصَّالحين : 2 / 137 .

(7) ينظر : إعراب الأربعين حديثًا النووية : 168 .

وهي الأعمال الصالحات والطالحات ، يشهد له لفظة (إنَّما) فإنَّها تستدعي الحصر" [1] و وافقه ، (التفتازاني) (ت : 792 هـ) على ذلك [2] ، وضمير الشأن إنْ عاد على متقدم ، فقد جاء من قبيل توكيده ، بتكرار ذكره ، وإنْ عاد على متأخر فقد جاء الظاهر مفسرًا وموضحًا [3] .

ويسهم ضمير الفصل بأثر كبير في تحقيق صلة معنوية بين أجزاء الكلام ، إذ يكون عنصرًا محيلاً إلى الاسم السابق ، فيكون بذلك عاملاً قويًّا في التأكيد والتخصيص ، وإزالة الإبهام [4] .

من ذلك قوله 2 : (**الدّعَاءُ هُوَ العبادةُ**) [5] ، أحال ضمير الفصل (هو) على على متقدم عليه هو (الدعاء) ، وقد استُفيد من هذا الضمير زيادة على ربط الكلام ، الحصر [6] .

ومن هنا نفهم الصلة الوثيقة التي يعقدها ضمير الفصل بين الجزأين الواقع بينهما ، وعلى الرغم من أنَّ الإحالة فيه تكون للمتقدم ؛ إذ إنَّ العنصر الإشاري السابق هو الذي يفسر هذا المبهم ، فإنَّ المتأخر يعتمد عليه في المعنى [7] فمن الوظائف الأساسية لضمير الفصل في العربية ، إزالة اللبس والحصر [8] .

ونحاة الكوفة ، يسمون ضمير الفصل بـ (العماد) ؛ لمطابقته ما قبله ، أو لأنَّه يعتمد عليه معنى الكلام ، ونحاة البصرة يسمونه (الفصل) ؛ لأنَّه يرد فاصلاً بين

---

(1) شرح الطيبي: 6 / 1839 .

(2) ينظر : شرح التفتازاني على الأحاديث الأربعين النووية : 159 .

(3) ينظر : دارسات لغويّة تطبيقيّة: 126 .

(4) ينظر : الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق التَّرابط في النَّصِّ القرآني : 1098 .

(5) رياض الصَّالحين ، رقم (1465) ، أخرجه الترمذي : كتاب الدعوات ، باب ما جاء في فضل الدعاء ، رقم (3372) .

(6) ينظر : شرح الطيبي : 5 / 1708 ، ودليل الفالحين : 7 / 301 .

(7) ينظر : دراسات لغويّة تطبيقيّة : 135 .

(8) ينظر : معاني النحو : 1 / 45 – 47 .

كونه وصفًا وغير وصف ، أي فصل بين الخبر والتابع ، وأكثر النحويين يقتصر على ذكر هذه الفائدة [1] .

فالضمير (هو) له ميزتان ، الأُولى : الغياب عن دائرة الخطاب ، والأُخرى : القدرة على إسناد أشياء معينة للمحال عليه ، وهاتان الميزتان جعلتا هذا الضمير من أبرز عوامل التَّرابط النَّصيّ . [2]

ومنه قوله 2 : (**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مغفرة مِنْ عِنْدِكَ وارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**) [3] .

فقد أحال ضمير الفصل (أنت) في (إنَّك أنت الغفور الرحيم) على متقدم عليه (الكاف) في (إنَّك) الذي يعود إلى الذات المخاطبة بالدعاء (الله) سبحانه ، في قوله 2 (اللّهمَّ) فهو سبحانه الذي يغفر ويرحم ، فالإحالة هنا (نصية قبلية) ، وقد أفاد ضمير الفصل هنا زيادة على التَّرابط ، الحصر ، فالله سبحانه دون غيره هو الغفور الرحيم ، وهما صفتان ذكرتا ختمًا للكلام على جهة المقابلة لما تقدم ، فالغفور مقابل لقوله اغفر لي ، والرحيم مقابل لقوله ارحمني [4] .

وبعد ما سبق ذكره ، يتّضح لنا الأثر المهم الذي تؤديه الضمائر بوصفها آليات ترابط نصيّة في تحقق التَّرابط للنَّصِ ، ببناء شبكة العلاقات التي تربط أجزاء النَّصِ ربطًا محكمًا يتحد فيه البناء ، فالضمير يعمل كمادة البناء التي تمسك بلبنات البناء المختلفة وتشدها إلى بعضها ، فيصير بناءً محكمًا مترابطًا .

ثانيًا : اسم الإشارة

(1) ينظر : مغني اللبيب : 2 / 496 .

(2) ينظر : علم اللغة النَّصيّ بين النظريّة والتطبيق : 1 / 161 .

(3) رياض الصَّالحين ، رقم (1475) ، رواه البخاري : كتاب الأذان ، باب الدعاء قبل السلام السلام ، رقم (834) , ومسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب خفض الصوت بالذكر ، رقم (2705) .

(4) ينظر : فتح الباري ، للعسقلاني : 2 / 413 ، وعمدة القاري : 6 / 119 ، ودليل الفالحين الفالحين : 7 / 309 .

هو اسم مظهر دالٌّ بإيماء على اسم حاضرٍ حضورًا عينيًّا ، أو ذهنيًّا [1] .

واسم الإشارة مثل ضمير الغائب يحتاج إلى مذكور قبله ، أو محسوس ، حتّى يُشار إليه به فيكون كضمير راجع إلى ما قبله [2] .

ويستعمل استعمال الروابط ؛ فهو يقوم بنقل المعنى السابق له إلى المعنى اللاحق. [3]

ويمكن استعمال اسم الإشارة مكثفًا ؛ أي: مشيرًا إلى عدد كبير من الأحداث السابقة له ؛ رغبة في الاختصار واجتنابًا للتكرار [4] .

وللإشارة أركان لا بُدَّ من توافرها ، هي :

المُشير = المتكلم

المشار له = المخاطب

المشار إليه = الشيء في الخارج (وقد يبين مدلولاً عليه باسمه)

المشار به = أداة الإشارة

فاذا توافرت هذه الأركان وتم الإجراء حصلت الإشارة [5] .

ويقسم اللغويون مدى الإحالة على نوعين ، وذلك باعتماد المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسره :

النوع الأول : إحالة ذات مدى قريب ؛ وتجري في مستوى الجملة الواحدة ، إذ لا توجد فواصل تركيبية جملية .

النوع الثاني : إحالة ذات مدى بعيد ؛ وهي تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النَّصِّ [6] .

---

(1) ينظر : شرح كتاب الحدود في النحو : 153 .

(2) ينظر : شرح الرضي : 2 / 479 .

(3) ينظر : نحو النَّصّ إطار نظري ودراسات تطبيقيّة : 120 .

(4) ينظر : دراسات لغويّة تطبيقيّة : 143 .

(5) ينظر : أصول تحليل الخطاب : 2 / 1062 – 1063 .

(6) ينظر : دراسات لغويّة تطبيقيّة : 150 – 151 .

Abstract

This study is entitled **Texture in Prophetic Hadith: Al Nawawi's (d.676 A.H) "Riyadh Al Saliheen" as an Example** which is a descriptive analytical study in accordance with the foundations of text linguistic. It deals with lexical and grammatical mechanisms of cohesion, and semantic mechanisms of coherence.

The most important reasons behind choosing this topic are:

1. Text linguistics is a modern science so it is a fertile area of research and study.
2. Rareness in the studies of text linguistics, especially in Prophetic Hadith.
3. The marriage between old Arab heritage and modern linguistic theories.

The study also tries to achieve the following aims.

1. Discovering, analyzing and studying the elements of texture in Prophetic Hadith.
2. Finding the relation between cohesion and coherence and discovering their impact on tecture.

The study was constituted of an introduction, a background, three chapters, and a conclusion. The background has dealt with the concepts of text and discourse. It also referred to the significance of Prophetic Hadith in Arabic eloquence. Also it discussed the status of **Riyad Al Saliheen "***Gardens of the Good"* among other books of Prophetic Hadith. The first chapter discussed grammatical mechanisms of texture, the second

discussed lexical ones, while the third chapter discussed semantic mechanisms.

The researcher did not forget to refer to the previous studies that discussed texture generally in The Glorious Quran, poetry and prose. This is the first study that dealt with texture in Prophetic Hadith.

Throughout this study, the researcher reached at the following results.

1. Text linguistics is a structure that depended on grammar of the sentence, then expanded to include bigger units like the text.
2. Cohesion plays a vital role in texture through its grammatical mechanisms like reference, ellipsis, replacement, coordination and lexical mechanisms repetition and collocation.
3. Coherence represents the second pillar of texture through its semantic mechanisms.
4. Old scholars have participated in the study of some elements of text linguistics, so the study tried to combine their efforts with what text linguists discovered, i.e., the theories of text linguistics and the tree mechanisms of texture.

Finally, this study concluded certain recommendations like stressing on adapting Prophetic Hadith as a rough material in textual studies and being in the second place of Arabic eloquence after The Glorious Quran also to precede all Arab speech, its poetry and prose, because it was said by the most eloquent Arab. The study also stressed on investigating the mechanisms of texture made by the interpreters of Prophetic Hadith as their awareness of coherence and cohesion was proved.